"القرآن والمناهج الوضعيّة: مراجعات في الفكر الاستشراقي" لعبد الرحمان عُبيد كمالا: عرض وقراءة نقدية

"The Qur'an and Positivist Methodologies: Revisions in Orientalist Thought" by Abd al-Rahman Ubayd Kamala: An Overview and Critical Reading

د. نجاة الطاهر قرفال: أستاذ مساعد للتعليم العالي، تخصص الحضارة العربيّة (الاستعراب)، جامعة قابس–تونس.

Dr. Najet Taher Guerfel: Assistant Professor of Higher Education, specializing in Arab Civilization (Arabism/Arab Studies), University of Gabes, Tunisia.

Email: guerfeell@hotmail.fr

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v6i1.1704

تاريخ الاستلام: 2025-11-08 تاريخ القبول: 2025-11-17 تاريخ النشر 2026-01-01

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى الاشتغال على عيّنة من الاستعراب الآسيوي، من خلال عرض كتاب «القرآن والمناهج الوضعيّة: مراجعات في الفكر الاستشراقي» للمستعرب الماليزي عبد الرحمان عُبيد كمالا، وقراءته قراءةً نقديّةً تتجاوز المواقف التمجيديّة أو الاستهجانيّة، بهدف الوقوف على طبيعة الكتاب من حيث المحمول المعرفي، والمنهج العلمي، والإخراج الفنّي. وقد انتهى البحث إلى جملة من الاستنتاجات صيغت في العناوين الآتية: القراءة الغيريّة تراجع ذاتها؛ إذ تحوّلت الدراسة الغيريّة للقرآن الكريم إلى مادّة علميّة لدراسة غيريّة من الدرجة الثانية لدى أعلام من الاستعراب الآسيوي، أسفرت عن تصحيح بعض الآراء الاستشراقيّة تجاه القرآن الكريم. والمنهج الاستشراقي وفيّ لمرجعيّاته الغربيّة؛ حيث إنّ الطريقة التي تناول بها الاستشراق الغربي النصّ القرآني التزمت بما عُرف في أوروبا من البحث في تاريخيّة النصّ وإزاحة لبوس القداسة عنه. والمسألة الدينيّة ذات قيمة حضاريّة اعتباريّة؛ وقد تأكّد ذلك في النظرة الوضعيّة التي اعتبرت الدين جزءًا من الثقافة، وفي النظرة الدينيّة غير الإسلاميّة التي رأت في الإسلام امتدادًا لليهوديّة والمسيحيّة.

الكلمات المفتاحية: الإسلام؛ القرآن الكريم؛ ؛ الاستعراب، عبيد كمالا.

Abstract:

This study examines a sample of Asian Arabism by presenting and critically reading the book The Qur'an and Positivist Methodologies: Revisions in Orientalist Thought by the Malaysian Arabist Abd al-Rahman Ubayd Kamala. The analysis goes beyond laudatory or dismissive positions in order to identify the nature of the book in terms of its epistemological content, scientific methodology, and formal presentation. The study arrives at a set of conclusions articulated under the following headings: Otherness-oriented readings revisiting themselves—as the otherness-based study of the Holy Qur'an has become an academic subject for second-order otherness studies among leading figures of Asian Arabism, resulting in the correction of certain Orientalist views of the Qur'an; The Orientalist method's fidelity to its Western frames of reference—since Western Orientalism's approach to the Qur'anic text adhered to European traditions of investigating textual historicity and stripping it of its sacred character; and The religious question as a civilizational, relative value—a notion confirmed in the positivist view that regards religion as part of culture, and in non-Islamic religious perspectives that see Islam as an extension of Judaism and Christianity.

Keywords: Islam; Holy Quran; Orientalism; Arabism; Ubayd Kamala.

المقدّمة:

إنّ الكتابة في المسألة المنهجيّة شرطٌ لقيام الدراسات الأكاديميّة؛ ذلك أنّ المنهج هو الإطار الذي تنتظم وفقه المعارف، وتبرز من خلاله طبيعة العلاقات بينها، وتتميّز الدوافع من الغايات. وبالمنهج تتمايز الأعمال والمشاريع، ولا سيّما في مجال التصنيف.

وإنّ مراجعة ما كُتب في الشأن الإسلامي بأقلام غربيّة استشراقيّة تُعدّ من مقتضيات البحث العلمي، أوّلًا، ومن ضرورات الوجود الحضاري، ثانيًا؛ إذ لا معنى لقراءة الكتابات الاستشراقيّة قراءةً تمجيديّة أو استهجانيّة ما لم يُخضعها القارئ لمقاييس نقديّة دقيقة تزن، من جهة، الأعمال العلميّة بموازينها، وتتحقّق، من جهة أخرى، من علميّة الباحث وموضوعيّته وأمانته.

والتقديم نوعٌ من التغذية الراجعة؛ فهو يختلف عمّا يُعرف بتقريظ الكتاب، الذي يندرج في باب الإعجاب والإشادة والثناء والمدح[1]. وهذا جميل، لكنّ فائدته محدودة، لا تتقدّم بالبحث العلميّ. وإنّ تقديم النتاج العلمي يدخل، هو الآخر، في علم المراجعات، ويزيد عليه، وذلك من خلال النظر في الجانب الفنّيّ التقنيّ الذي تمثّله نسخة الكتاب، ومدى استجابتها لمقتضيات النشر العلمي.

وفي التقديم توسعة، وقد يكون تقويمًا للكتاب مادّةً ومنهجًا وإخراجًا، كما قد يُبيّن المقدِّم رؤيتَه الخاصّة لموضوع البحث الذي يتناوله الكتاب. وقد أُثر عن الإمام مالك أنّه قال: «كلٌّ يؤخذ من قوله ويُردّ إلّا صاحب هذا القبر»، أي النبيّ محمّد ﷺ.

والكتاب المعنيّ بالعرض والقراءة النقديّة موسومٌ بـ «القرآن والمناهج الوضعيّة: مراجعات في الفكر الاستشراقي»، وهو من تصنيف الدكتور عبد الرحمن عُبيد كمالا، الأستاذ المحاضر في كليّة الدراسات القرآنيّة والحديثيّة بجامعة العلوم الإسلاميّة الماليزيّة. وله، كذلك، أعمالٌ أخرى، من بينها: الترتيب التوفيقيّ وصلته بالوحدة الموضوعيّة وعلم المناسبة القرآنيّة، وإحياء مصطلحات قرآنيّة وصوفيّة.

ومن الأهمّيّة بمكان تسريح الأنظار والكشف عن الأفهام في ما كتبه مسلمون غير عرب، هم في عرف التسمية العلميّة مستعربون[2]، والغاية من ذلك تتجاوز تصحيح الأخطاء التي يمكن أن

[1] من الذين ذاع صيتهم في فنّ صناعة التقريظ العلّامة عبد الهادي الفضلي وله في ذلك منهجيّته وأسلوبه. انظر: اليوسف، عبد الله أحمد، **فنّ صناعة التقريظ: منهجيّة الدكتور الفضلي نموذجا**، (د. م. ن)، 1430هـ/2009م، ط1. (كتاب رقميّ).

[2] فئة من الباحثين من غير العرب منشغلون بحقل علميّ مادّته العربيّة لغة وأدبا وحضارة. انظر: سمايلوفيتش، أحمد، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، القاهرة، دار الفكر العربيّ، 1418 هـ/1998، ص 34. "وأمّا مفهوم "الاستعراب" العلميّ الذي نقصده هنا فهو علم يختصّ بدراسة حياة العرب وما يتعلّق بهم من حضارة وآداب ولغة وتاريخ وفلسفات وأديان، وله أصوله وفروعه ومدارسه وخصائصه وأصحابه وأتباعه ومنهجه وفلسفته وتاريخه

يكونوا قد وقعوا فيها عن قصد أو عن غير قصد، والوقوع عند المغالطات التي يمكن أن تضمّن في بحوثهم العلميّة، إلى بيان الإشكالات العلميّة والفكريّة والمنهجيّة التي تحول دون الفهم والإفهام في بلوغ المرام لدى كلّ من الباثّ والمتلقّي. تقوم خطّة تقديم هذا الكتاب على قسمين: في الأوّل دراسة وصفيّة تُلحق بدراسة نقديّة في القسم الثاني.

الدراسة الوصفيّة:

تُخصّ قراءةُ الكتاب، قبل الشروع في دراسته، بالنظر في حجمه، وإحالات نسخته التوثيقيّة، وصفحة غلافه، وانتظام العناوين الكبرى داخله. وتكمن أهمّيّة الدراسة الوصفيّة في تقريب صورة المنجز المعرفي من المتلقّي، بما يجعل القراءة النقديّة جليّةً وقادرةً على الاستجابة لانتظاراته. فتغدو بذلك أشبه بعقدٍ توافقيّ يُبرم بين طرفي الخطاب، حيث تُبنى عمليّتا العرض والنقد على ما ورد في الكتاب من ضوابط، سواء تعلّق الأمر ببنيته، أو مادّته العلميّة، أو صِيَغه الفنّيّة والتقنيّة.

(1) الحجم: متوسّط، عدد الصفحات الكلّيّ (80): من صنف الكُتيّب أو الدراسة.

(2) الإحالات التوثيقيّة: أمّا دار النشر فهي (Xlibris LLC) (كمالا، 2014: ص5). وأمّا مكانه فهو لا يوجد وربّما عوّضه رابط رقميّ مع عنوان بريد رقميّ. (كأنّ النسخة رقميّة). تاريخ النشر هو 2014. والطبعة المعتمدة: غير مرتّبة (الأولى–الثانية...)

(3) صفحة الغلاف:

أ– الأماميّة: العنوان أعلى الصفحة واسم المؤلّف أسفلها، كلاهما باللسان العربيّ.

ب– الخلفيّة: تتضمّن نصّا يعرّف بمحتوى الكتاب، مع رقم دوليّ، مع مزوّد خدمات النشر الذاتيّ والطباعة عند الطلب (Xlibris)، مقرّها الهند والولايات المتّحدة.

(4) العناوين الداخليّة

– في الصفحة الثانية هناك جزء من العنوان باللسان الإنقليزيّ. وفي الصفحة الرابعة يعاد الجزء من العنوان مع اسم المؤلّف باللسان الإنقليزيّ. وفي الصفحة الخامسة يوجد نصّ حقوق المؤلّف، مع الرقم الدوليّ، مع تاريخ المراجعة (24–03–2014) ثمّ متعلّقات التواصل مع دار النشر (Xlibris LLC) لطلب نسخ من الكتاب، الرابط الرقميّ والبريد الرقميّ (كمالا، 2014: ص5). وجميعها باللسان الإنجليزيّ. وفي الصفحة السادسة إعادة العنوان واسم المؤلّف أسفلها، كلاهما باللسان العربيّ، في النصف الأعلى من الصفحة. ثمّ الفهرست (كمالا، 2014: ص8).

وأهدافه". أمّا المستشرقون فهم المهتمّون بدراسات الشرق عموما بما في ذلك حضارة الفرس والصين والهند... الخ. وإنّا نعتبر الكاتب كمالا أحد أعلام الاستعراب الآسيويّ عموما والماليزيّ خصوصا.

وبعده توطئة (كمالا، 2014: ص10).. ثمّ تظهر ثلاثة عناوين كبرى ملحق كلّ منها بقائمة هوامشه. وهي على التوالي: عنوان أوّل: الاستشراق واللاهوت المعتدل: آفاق عرض الأديان العالميّة. ثمّ هوامشه تحت عنوان: هوامش الفصل الأوّل (كمالا، 2014: ص30–32). ثمّ عنوان ثانٍ: المعادلة المستحيلة: الإيمان الموروث والمنهج الوضعيّ المكتسب. فهوامش وتعليقات الفصل الثاني. ثمّ عنوان ثالث: تضارب الأقوال في ترتيب سور القرآن (ملاحظة انزياح العنوان إلى أسفل) (كمالا، 2014: ص47). ثمّ هوامش الفصل الثالث. وبعدها قائمة المصادر والمراجع (ترقيم الصفحة سفليّ على اليمين خلافا للترقيم العامّ). ثمّ رقم نشر دوليّ وعنوان دار نشر للكتب الرقميّة وتوزيعها مقرّها في المملكة المتّحدة (بريطانيا) واسمها: (Lightning source) (كمالا، 2014: ص78).

الدراسة النقديّة:

لا قيمة للقراءة الوصفيّة إن لم تُلحق بقراءة نقديّة تراجع ما ثبت تدوينه في الكتاب. ولمّا كانت القراءة النقديّة تقتضي مسافة بين الناظر والمنظور فيه فإنّها تتوخّى البدء بالنظر في عنوان الكتاب فالفهرس والتوطئة ثمّ يكون تناول العناوين الكبرى ومحتوياتها العلميّة وهوامشها، وبعدها النظر في قائمة المصادر والمراجع.

(1) العنوان: مقارنة بين ما هو منصوص عليه في صفحة الغلاف وما تتضمّنه الصفحات الداخليّة.

* في صفحة الغلاف: **القرآن والمناهج الوضعيّة: مراجعات في الفكر الاستشراقيّ.**

– التناسب الترجميّ: غير متحقّق. في العنوان العربيّ: جزءان، مع اعتماد عبارة الفكر بينما في العنوان العربيّ جزء واحد واعتماد عبارة (***Issues***) المقابل لعبارة قضايا أو مسائل أو مواضيع.

– التناسب الدلاليّ مع محتوى الكتاب لا يمكن تأكيده أو نفيه إلّا بعد القراءة.

* ما يجب أن يكون عليه العنوان ترجمة باللسان الإنقليزيّ مع إبدال عبارة "فكر " ب"قضايا" أو العكس ليحصل الانسجام بين العنوان وترجمته.

The Quran and positivist methods: Revisions on Orientalism Issues

القرآن والمناهج الوضعية: مراجعات في قضايا الاستشراق، ذلك أنّ الفكر الاستشراقيّ يترجم ب (Orientalist thought). علينا التمييز بينهما. ف"فكر (Thought)/ (Pensée) بالفرنسيّة: نشاط عضويّ في المخّ والجهاز العصبيّ المركزيّ... قدرة على الكشف والتعميم والتجربة والتأثير

والتغيير" (الكيّالي وآخرون، 1994: ج5، ص564). هناك تحييز لعمل الفكر في الجهاز العصبيّ، وبيان لوظائف العمل الفكريّ: الكشف والتعميم والتجربة والتأثير والتغيير. إنّ للفكر ثلاث دلالات اصطلاحيّة. فهو يطلق على أداة التفكير وعمليّة التفكير والناتج منهما. وهذا غير القضيّة.

(2) قائمة المحتويات نلاحظ أن لا مقدّمة ولا خاتمة مع وجود التوطئة التي لا تعوّض المقدّمة. كما نلاحظ غياب تقسيم البحث إلى أبواب أو فصول أو مباحث. هناك ثلاثة عناوين. هذا رغم حضور عبارة "فصل" في الموضع المخصّص للهوامش: الفصل الأوّل/الفصل الثاني/الفصل الثالث.

أ- **العنوان الأوّل:** مقارنة بين ما جاء في الفهرس وفي موضع العنصر: في الفهرس: **الاستشراق واللاهوت المعتدل: آفاق عرض الأديان العالميّة.** وهذا خلافا لما ورد في الصفحة الحادية عشرة: **القرآن والاستشراق اللاهوتيّ: آفاق عرض الأديان العالميّة** (كمالا، 2014: ص11). هناك، إذن، تحوير واضح في العنوان أحدث فروقا كبيرة بين العنوانين: الفرق الأوّل: بين حضور عبارة القرآن وغيابها: وهذا يثير إشكالا يتمثّل في اندراج البحث في المسائل القرآنيّة من عدمه. الفرق الثاني: بين علاقة الاستشراق باللاهوت ووصفه بأنّه لاهوتيّ. الفرق الثالث بين صفة اللاهوتيّ ودلالة اللاهوت المعتدل. هناك ضبابيّة في صياغة هذا العنوان الأوّل، سيكون لها أثرها السلبيّ في محتويات هذا العنصر. هناك ملاحظة أخرى تتعلّق بالصلة بين الجزء الأوّل والثاني في العنوان: أيّ علاقة بينهما؟

الجزء الأوّل من العنوان: الاستشراق واللاهوت المعتدل، والجزء الثاني منه: آفاق عرض الأديان العالميّة. ثمّ ما القصد من قولنا عرض الأديان العالميّة؟ هل العرض يعني دراستها أم مجرّد التعريف بها؟

ب- العنوان الثاني: المعادلة المستحيلة: الإيمان الموروث والمنهج الوضعيّ المكتسب

يثير هذا العنوان جملة من التساؤلات: ما معنى الإيمان الموروث؟ ألا يلتبس هذا بما يرثه اللاحق عن السابق من معتقدات بالية بائدة وخرافات وأساطير؟ وهل يمكن أن يكون الإيمان موروثا؟ ألا يكون الإيمان مكتسبا بالمشاهدات وتوجيه العقل؟ وهل المنهج الوضعيّ (Positivism) مكتسب، أم هو من وضع الفكر البشريّ الرافض للوحي. فمصدر المعرفة في هذا المنهج لا يعترف بالوحي ولا يقرّ بغير التجربة الحسّيّة.

ج- العنوان الثالث: جاء في الفهرس على النحو التالي: **تضارب الأقوال في قضيّة ترتيب سور القرآن.** بينما جاء في الصفحة السابعة والأربعين: **تضارب الأقوال في ترتيب سور القرآن** (كمالا، 2014: ص47). هناك حذف لعبارة قضيّة. وبهذا يصبح الفرق بيّنا بين العنوانين. ففي

الأوّل هناك اعتبار لقضيّة تتضارب حولها الأقوال. وأمّا العنوان الثاني فالأقوال متضاربة في الترتيب دون اعتباره قضيّة. والحال أنّ ترتيب سور القرآن الكريم أثار جدلا كبيرا وانقسم فيه الباحثون بين منتصر لترتيب السور الوارد في المصحف وبين آخر ينتصر للترتيب وفق نزولها، ما يعرف عند بعضهم بالترتيب الكرونولوجي للقرآن[1].

وقبل النظر في المحتويات المعرفيّة علينا طرح سؤال حول العلاقة بين العناوين الثلاثة التي يمكن اختزالها في (استشراق ولاهوت// إيمان ومنهج وضعيّ// ترتيب سور القرآن)، تلك العلاقة التي تخوّل لتلك العناوين الثلاثة أن تجتمع بين دفّتيْ كتاب واحد؟

(3) المحتويات المعرفيّة: ويكون النظر فيها تباعا بدءا بالتوطئة ثمّ العناصر الثلاثة البانية للمادّة المعرفيّة في الكتاب.

أ- **التوطئة:** يبدو أنّها بغير قلم المؤلّف لأنّها تتحدّث عنه بضمير الغائب هو "ويوجّه الكاتب عنايته..."، أو لعلّه نوع من التجريد الذي يتحدّث فيه المرء عن ذاته بضمير الغائب.

* **استقطار أهمّ الأفكار:** رغم ذلك يمكن استقطار أهمّ الأفكار الواردة في تلك التوطئة. أولى هذه الأفكار تتمثّل في بيان وجهة الكتاب: طرح قضايا في الفكر الاستشراقيّ. تليها فكرة مناسبة الطرح وهي التجربة التدريسيّة الذاتيّة. ثمّ نفي تسلسل القضايا المطروحة تاريخيّا يليها الإقرار بصعوبة تتبّع أثر الاستشراق في المجتمع. ثمّ دور شبكات التواصل في إثارة الشكوك الدينيّة من جديد (لن نجد لهذه الفكرة أثرا في البحث). ومن ثمّ القول بأنّ مناهج المستشرقين لا تقطع مع مرجعيّاتهم الغربيّة.

* **سمة التباس المعنى:** سمة التباس المعنى على المتلقّي بسبب تركيب الكلام. نمثّل لذلك بما جاء في الصفحة التاسعة، في مواضع خمسة:

المثال الأوّل: يقول صاحب الكتاب: "وهي ليست متسلسلة من حيث الأهمّيّة التاريخيّة، بل تكتسب أهمّيّتها من مناقشات جامعيّة وقراءات تعكس هموما فكريّة وتعاين أفق التأثيرات الغربيّة في تشكيل التصوّرات عن الدين عموما..." (كمالا، 2014: ص9). فهل القصد تقديم الطرح الراهنيّ

[1] من الذين ارتأوا ذلك من المستعربين الفرنسيّين، ريجي بلاشير (Régis Blachère) (1900-1973) الذي نزع نحو إعادة ترتيب سور القرآن الكريم، في النسخة الأولى من كتابه في ترجمة معاني القرآن الكريم، وفق زمن نزولها ثمّ رأى أن يعتمد، في النسخة الثانية من كتابه ذاك الصادرة عام 1957، الترتيب الوارد في المصحف. انظر:

Blachère, R. (1947). *Le Coran: Traduction selon un essai de reclassement des sourates* (Islam d'hier et d'aujourd'hui, Vol. 3). Paris, France: G. P. Maisonneuve.

لتأثير تلك القضايا دينيّا، على الطرح التاريخيّ؟ كان بالإمكان التعبير عن هذه الفكرة المركّبة بثلاث جمل مختزلة دالّة: لهذه القضايا قيمة تاريخيّة وأخرى جدليّة. والثانية هي المقدّمة عندنا لاتّصالها بالمجال المعرفيّ الجامعيّ. ومن المهمّ البحث في تأثيرها اليوم في الطرح الدينيّ عامّة والإسلاميّ خاصّة في العالمين الغربيّ والإسلاميّ على حدّ سواء.

المثال الثاني: يقول كمالا: "... بتأثير شبكات التواصل... أفسحت لكثير من الهواة مساحة رحبة لنشر مشاغباتهم الفكريّة... تحليلات عقديّة ولغويّة مقارنة" (كمالا، 2014: ص9). الحاجة إلى التوضيح المختصر والتدقيق العلميّ: من هم هؤلاء الهواة؟ وما تلك المشاغبات؟ وما القصد من "تحليلات عقديّة ولغويّة مقارنة"؟ هذا أثر شبكات التواصل السلبيّ. أليس من الضروريّ التساؤل عن سبب تخلّي علماء المسلمين وشبابهم الواعي عن دورهم في توظيف تلك الشبكات توظيفا يخدم الإنسان حيثما كان، ويبحث في المشترك الإنسانيّ؟

المثال الثالث: يقول كمالا: "تصوّرات وضعيّة ولاهوتيّة" (كمالا، 2014: ص9). أوّلا: اللاهوت مصطلح كنسيّ وتوظيفه دون بيان مفهومه ومجال استخدامه وحتّى تاريخ ظهوره، يدخل في حيّز التبنّي. ثانيا: هل المراد الفصل بين الوضعيّ واللاهوتيّ أم الجمع بينهما؟ يُنتظر أن يوجد نوعان من التصوّر داخل الفكر الاستشراقيّ في المسائل القرآنيّة: تصوّر وضعيّ يرفض الوحي، وتصوّر لاهوتيّ يقبل الوحي لكن من زاوية نظر كنسيّة. وهذان عنصران متباينان.

المثال الرابع: يقول: "... مناهج كبار المستشرقين والتي لا تمتّ بحال إلى دوائر الاستعمار ..." (كمالا، 2014: ص9). الأصوب هو العكس. فما من مستشرق إلّا له بالاحتلال صِلات. فهو في خدمته ممثّلا في الحضور الكنيسيّ أو مجالات البحث العلميّ أو مدارات التفكير الفلسفيّ، على حدّ سواء.

المثال الخامس: يقول: "... ربط الرؤى الاستشراقيّة... بمنابعها وجذورها في الفكر والحضارة الغربيّة، بعيدا عن التصنيفات الدينيّة والعرقيّة..." (كمالا، 2014: ص9). وهذا غير ممكن لأنّ جذور الفكر والحضارة الغربيّة لا تخرج عن الطرح الدينيّ المناهض للكنيسة والطرح العرقيّ الذي ينظّر للعرق الأبيض الأسمى، فلسفة ليبنتز (Leibniz) (1646–1716)، وأثرها في "فلاسفة الأنوار"، مثالا.

ب– العنصر الأوّل: نشير إلى غياب عناصر فرعيّة تؤثّث هذا العنوان الرئيسيّ. وكذا الشأن بالنسبة إلى العنصرين الآخرين. أهمّيّة تفريع العناصر الكبرى إلى عناصر صغرى والصغرى إلى أصغر حتّى تتّضح منهجيّة البحث ويدرك المتلقّي سيرورته.

* **مدار الكلام في هذا العنصر:** ينعقد الكلام هنا، بعد تقديم مصادرة تتمثّل في اختلاف الرؤى حول الأديان حدّ الخلاف الذي هو ليس سوى نتاج موروث وانعكاس برامج سياسيّة، حول التوجّهات الثلاثة في النظر إلى الأديان (والإسلام أحدها): أوّلا: توجّه وضعيّ: الدين مجرّد تراكم ثقافيّ، ثانيا: توجّه دينيّ: الإسلام صورة مشوّهة عن اليهوديّة والمسيحيّة، ثالثا: توجّه موضوعيّ: تنقصه العلميّة. ثمّ استعراض التيّارات الاستشراقيّة. ومعيار التقسيم هو المنهج.

+ **الاتّجاه العلميّ:** وتمثّله (المدرسة الوضعيّة): أسسها الفكريّة هي: (1) ليس الوحي مصدرا للمعرفة، (2) الدين تراكم ثقافيّ، (3) الخرافة أحد مكوّناته (نولدكه وغولدزيهر ونلينو وبلاشير). هذا الاتّجاه: وصفيّ ظاهراتيّ (phenomenlogy) مادّيّ طبيعيّ معادٍ للدين. ومرجعيّته ثلاثيّة: حركة مارتن لوثر للإصلاح الدينيّ والثورة الصناعيّة وفلسفة التنوير.

+ **الاتّجاه اللاهوتيّ:** دراسة الإسلام من خلال منظور يهوديّ مسيحيّ، من الآباء (بيدول ولامانس)، ومن الأساتذة المشتغلين بالدين (الأمريكيّ هوستن سميث)[1]. ومنه الاتّجاه اللاهوتيّ المعتدل ورمزه هوستن سميث الذي عرّف أمريكا بأديان الشرق (هوستن، 2005م).

+ **الاتّجاه السياسيّ:** تمثّله (المدرسة النفعيّة)، هدفه خدمة الاحتلال (سنوك هورخرونيه).

+**الاتّجاه الحديث:** لا خوض في مسائل الدين الغيبيّة ولكن ينظر في طرح الدين من وجهة نظر اجتماعيّة وما يترتّب عليها من مستتبعات.

يذهب الكاتب إلى الإقرار بأنّ المسلمين هم أوّل من وضع منهجا علميّا محكما في ميدان مقارنة الأديان: مثال: أبو الحسن العامريّ (ت381هـ/992م)، كتابه: **الإعلام بمناقب الإسلام.** وطبّق أبو الريحان البيرونيّ (ت440هـ/1048م) ذلك المنهج في كتابه **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.** وسيعود إلى منهج أبي الحسن العامريّ في مقارنة الأديان (كمالا، 2014: ص22)، حيث ردّ على شُبَه الفيلسوف اليونيّ أبيقور. أوّلا: مدى صلاحيّة الدين لأن يكون نظاما شاملا للحياة. واعتبار أركان الدين الأربعة في المقارنة: الاعتقاديّة والعباديّة والمعامليّة والمزاجريّة. وثانيا: شرط الاشتغال في النماذج العامّة لا الشاذّة. وهذا خلافا لما دأب عليه المستشرقون. مقارنة الشورى التي تمّ وأدها في مرحلة مبكّرة بالنظام الديمقراطيّ الذي شهد تطوّرا تاريخيّا طويلا.

* **إصدار الأحكام:** لم يخل هذا العنصر من إصدار أحكام تمجيديّة في الغالب. مثل "المستشرقين الكبار" (كمالا، 2014: ص11)، و "وكتابه أفضل كتاب" (كمالا، 2014: ص13).

[1] هوستن كامينز سميث (Huston Cummings Smith) (1919–216) المتخصّص في علم الأديان، ذاع صيته بكتابه: **أديان العالم** (***The World's Religions***)، هيمن على ساحة الجدل الدينيّ في أمريكا خاصّة.

(عن سميث)، وكذلك"... محاولة التقريب بين الأديان... فهي تعكس نيّة حسنة من المؤلّف لإظهار الأديان عموما بمظهر حضاريّ في عصر المكتشفات العلميّة" (كمالا، 2014: ص13). وهذا الحكم ينقضه سميث نفسه، حيث يقول: "ولكن يؤكّد سميث أنّ الموقف الداعي إلى أنّ جميع الأديان أساسيّا وجوهريّا متماثلة موقف مخادع..." (كمالا، 2014: ص14). ثمّ اختيار غير مبرّر: "ويهمّنا هنا الحديث عن الاتّجاه اللاهوتيّ المعتدل، والذي يمثّله هوستن سميث" (كمالا، 2014: ص14). وعن دراسة سميث يقول: "تحويل جانب كبير من الدراسة إلى عرض جذّاب عاطفيّ خال من النقد" (كمالا، 2014: ص14). هذه الانطباعيّة تناقض حكما ناجما عن مقارنة بين سميث ومعاصره البريطانيّ برنارد لويس "في طروحاته اللاهوتيّة يؤكّد بطريقة صارمة أنّ الاهتمام المحوريّ للدين هو ترسيخ الرؤية الشاملة...ويخطّئ مقولة أنّ الدين هو الأخلاق فحسب..." (كمالا، 2014: ص14). وأمّا فلوجل فقال فيه: "الأعمال الجليلة للمستشرق الألمانيّ غوستاف فلوجل... معجمه: **نجوم الفرقان في أطراف القرآن**... عمله الكبير... الخطوة الكبيرة... عمل كبير...أعماله الجليلة.... أوّل من رقّم آيات القرآن الكريم (كمالا، 2014: ص27).

* **ملامح الموضوعيّة:** من ملامح الموضوعيّة في هذا الموضع:

– **عدم الانسياق وراء التأويلات:** المثال الأوّل: يقول: "ولن ننجرّ وراء تأويلات تستهدف النوايا بادّعاء أنّ عبارات سميث (يقول المسلمون) ليست سوى مناورات تغيب وراءها الحقيقة. فهو في نهاية الأمر راهب ولاهوتيّ نصرانيّ لا يضع معتقداته أمام القرّاء لغرض تبشيريّ، بل يستكشف الجوانب الإيجابيّة والجماليّة في الأديان الأخرى... ويوثّق نقولاته توثيقا علميّا" (كمالا، 2014: ص15). ويقول في المثال الثاني: "خالف سميث جولدزيهر في متصوّر الصوفيّة (كمالا، 2014: ص16) (التأثّر بالأفلاطونيّة المحدثة مثل السهروردي (ت587هـ) والهندوسيّة). نقض وليام جيمس هذا في كتابه **تنوّع الخبرة الدينيّة**.

– **التصريح بالموقف:** هناك ثلاث صيغ. أوّلها **الصيغة المعتدلة**. ومنها هذا المثال الأوّل: "وإذا كنّا نتّفق معه حول مبرّرات إقصاء هذا الفصل الداكن (يعني منزلة المرأة عند اليهود) إلّا أنّنا لا نوافقه على السيناريو الفلسفيّ العميق الأبعاد لمعتقدات الدين اليهوديّ وخصائصه القوميّة" (كمالا، 2014: ص18). والمثال الثاني: في تأكيد سميث اختلاف القرآن عن الكتب المقدّسة الأخرى: "وهذا التقرير الرائع من سميث ردّ منطقيّ على الشبهات التي أثارها كثير من المستشرقين عن سمة تكرار القصص ومظاهر يوم القيامة في القرآن الكريم (كمالا، 2014: ص19). (اعتبروها تشويشا لوحدة الموضوع وانتقالا غير مبرّر).. لها دلالات تعليميّة تربويّة عقائديّة. ثمّ استخلاص التقاء اللاهوتيّين والوضعيّين في عدم التمييز بين النصوص الدينيّة والموروث الدينيّ" (كمالا، 2014: ص25). والمثال الثالث: حول فشل أحمد ديدات منهجيّا لأنّه أنتج مشاحنات

(كمالا، 2014: ص19). ولكنّ السؤال الذي يطرح ها هنا: ألم يحقّق ديدات أيّ نجاح؟ ويقول في المثال الرابع: "وهذا المنطلق وإن كان في حدّ ذاته تسليما بالأحكام الصادرة عن القرآن الكريم إلّا أنّه يقضي في الوقت نفسه على كلّ محاولة رأب صدع الناتج عن الاختلافات العقديّة والموروث الثقافيّ بين الأديان" (كمالا، 2014: ص19). الآية صريحة: ﴿**إنّ الدين عند الله الإسلام**﴾ (كمالا، 2014: ص19)، و﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾[1]. أيّ حلّ ترتئيه، إذن؟ وجاء في المثال الخامس: موقف مدحيّ: يقول: "وكتاب هوستن سميث معلم (مَعْلَم أم مُعلِّم) كبير في طريق العرض الإيجابيّ للأديان لأنّه يترفّع عن المحاولات العقيمة لصهر الأديان في بوتقة واحدة، كما يتجنّب بلطف المحاكمات العقائديّة، ويرسم للقارئ الحصيف لوحة مزهرة للأديان مستوحاة من تصوّراتها..." (كمالا، 2014: ص26). أفلا يسقط هذا الموقف من كتاب سميث كلّ الآراء النقديّة الواردة ضدّه في هذا الكتاب؟

وأمّا الصيغة الثانية فتتمثّل في **النقد الذاتيّ**: يقول كمالا: "ويبدو أنّ العلّة القديمة التي ناضل بها المسلمون عن أنفسهم في وجه تهم القصور والتقصير في نشر وتحقيق الكتب التي حقّقها وطبعها المستشرقون مازالت تنهش في مؤسّساتهم العلميّة اليوم... فماذا يقولون اليوم عن تقصيرهم؟!

وقد يتحوّل الموقف إلى نقدٍ عدائيّ، وهي الصيغة الثالثة. يقول في المثال الأوّل: «أمّا مسامحات الأعياد فليست أكثر من مناورات نفاقيّة تطوّرت في ظلّ أوضاع اجتماعيّة متردّية أيّام الدولة العثمانيّة العجوز البدينة، وهيمنت هذه العثمانيّات المترهّلة اليوم على سوق الاعتراف». صوتُ مَن هذا؟ أليس في ذلك تنسيبٌ لهذا الرأي؟ أليس هو تكرارٌ حرفيّ لما يروّجه المستشرقون؟ (كمالا، 2014، ص27).

وفي المثال الثاني يقول: «الفداء في المسيحيّة لا يختلف كثيرًا عن الشفاعة في الإسلام وفي غيره من الأديان» (كمالا، 2014، ص28). إنّ التسوية بين الفداء المسيحيّ والشفاعة الإسلاميّة بحاجة إلى تفسير؛ فالمسألة عقائديّة بالأساس، وإن قبل الفكر الإسلاميّ بهذه التسوية، فلا نرى أنّ الفكر المسيحيّ يقبلها.

* **غياب التسلسل الفكريّ**: والمثال في ذلك ذكر "الاتّجاه الحديث..." ثمّ يتحوّل إلى علماء المسلمين... ثمّ الرجوع إلى الاتّجاه اللاهوتيّ بعد استيفاء القول فيه ثمّ يعود إلى علماء الإسلام (كمالا، 2014: ص13)... ثمّ الرجوع مجدّدا إلى سميث لاستعراض جملة من النقاط التي يمكن اعتبارها مقوّمات لمنهجه: إنّه بذلك يتجاوز الشأن الأكاديميّ لتحقيق التواصل وحذق المعطيات

[1] سورة آل عمران، الآية 85.

التاريخيّة غير المفيدة في الغرض وترك ما فيه انتهاكٌ لحرمة الأديان وتجنّب المفاضلة بين الأديان.

ج- **العنصر الثاني:** أهمّ الأفكار الواردة فيه:

* **خطأ الاعتقاد بزوال أثر جولدزيهر:** مقابلات مصطفى السباعي مع المستشرقين: جوزيف شاخت وروبسون ونيبرج... (كمالا، 2014: ص32)، واختلاف الآراء فيه، أي جولدزيهر، بين السباعي وبدوي الذي هو عنده "شمس ساطعة" تبدّد الظلام ..." ويجيء تعليق كمالا في عبارة مختزلة "اقتباس تمجيديّ". أمّا في صلته باليهود فيرى بدوي أنّه "ليس في ذلك تشويق". ويذهب كمالا إلى معارضته قائلا: "وهو الأمر الذي سنثبت عكسه تماما" (كمالا، 2014: ص33). هل تمّ إثبات ذلك؟ لا.

أثر جولدزيهر في مثقّفي العرب والغرب: فمن العرب محمّد عابد الجابري القائل بأنّ "القرآن كتاب تاريخيّ". وكذلك الذهبيّ: "مسألة يتحرّج الكثيرون من الحديث عنها... وهي تأثّر الشيخ محمّد الذهبي (ت: 1398هـ/1977م) الواضح في كتابه "**خلاصة مناهج المفسّرين في اختصار وترتيب التفسير والمفسّرون**" بكتاب جولدزيهر **مذاهب التفسير الإسلاميّ** من حيث المنهج لا من حيث المضمون وإن اشتركا في كثير منه (كمالا، 2014: ص36). ثمّ إنّ برنارد لويس كتب تعليقات على كتاب جولدزيهر **دراسات إسلاميّة**. ومن أخطاء جولدزيهر: "وقد وقع في جملة من الأخطاء هي: زعم أنّ التطوّر العقديّ في الإسلام متأثّر بالفلسفة اليونانيّة القديمة... أمّا الخطأ الأكبر ... فهو ما افترضه من تأثّر الفقه الإسلاميّ بالقانون الرومانيّ... وتظهر هشاشة الافتراض بالمقارنة العلميّة الجادّة بينهما خاصّة في قانون العقوبات وأحكام الميراث والأحوال الشخصيّة... أمّا استمداد الخبرة السياسيّة والعسكريّة والتنظيميّة للفرس فأمر طبيعيّ.." (كمالا، 2014: ص35). وتتمثّل إضافة جولدزيهر، حسب كمالا، في قدرة الفكر الإسلاميّ الاستيعابيّة: "والجديد الذي قدّمه جولدزيهر فهو دقّته في وصف قابليّة الفكر الإسلاميّ على هضم وتمثّل الثقافات والفلسفات الأجنبيّة وإعادة صياغتها في كتابه: **العقيدة والشريعة في الإسلام**..." (كمالا، 2014: ص39).. غير أنّه عجز عن الارتقاء بعقلانيّة الديانة اليهوديّة (كمالا، 2014: ص35).

ويطلق كمالا تساؤلا علميّا منهجيّا: ألا تغنينا أعماله عن البحث في نواياه؟... إنّ هذا المنهج يخضع لقواعد فكريّة وفلسفيّة أكثر من خضوعه لخلفيّات لاهوتيّة" (كمالا، 2014: ص42). ولكن كيف نؤكّد هذا؟

* **خلل منهجيّ الخروج عن السياق التحليليّ** الفكريّ والدخول في السياق التعريفيّ اللغويّ والإيغال فيه: عمل لغويّ اصطلاحيّ حول مُدد الزمن من الدهر والأزل والأبد والقرن والعقد والسرمد

والدهريّة "فرقة تجمع بين إنكار وجود الإله الخالق وإنكار البعث..." في لغة العرب وفي القرآن الكريم (كمالا، 2014: ص38). ثمّ الانخراط في التعريف المطوّل بسيرة إسرائيل شاحاك (Israël Shahak) (1933–2001) " (كمالا، 2014: ص42–43). ما مبرّر إدراج هذه السياقات معا؟

د– **العنصر الثالث:** مركز النظر في هذا العنصر حول تضارب الأقوال في ترتيب السور (كمالا، 2014: ص47).: دون تحديد الأطراف المتعارضة: بين من ومن؟

* **بدأ العنصر بتعبير غامض:** ولمّا لم يكن من الميسور تقسيم القرآن الكريم إلى مجموعات فكريّة وفق ترتيب المصحف الإمام فقد أعرض عامّة المثقّفين عنه وآثروا التعرّف عليه من خلال دائرة المعارف والدراسات الجامعيّة المختلفة" (كمالا، 2014: ص47). فالمقصود ب"مجموعات فكريّة"؟ ومن هم "عامّة المثقّفين"؟ و"الدراسات الجامعيّة المختلفة" ما مواقعها ومجالاتها البحثيّة؟ الكلام عامّ ولا يمكن للمتلقّي الظفر بأيّ نوع من الدقّة المعرفيّة.

* **استعراض جهود السابقين في المسألة:** ومنهم سعيد حوّى في توزيع السور في مجموعات. بعد كتاب السيوطي **الإتقان** سيطرت مسحة التقليد. ثمّ يصادر فيقرّ بحدوث التضارب الحاصل قديما وحديثا حول مسألة لها أهمّيّة خاصّة في قضايا علوم القرآن الكريم (كمالا، 2014: ص48).

* **المستشرقون ومسألة الترتيب:** وإعادة ترتيب سور القرآن الكريم وفق نزولها: تطبيق المنهج التاريخيّ على القرآن الكريم مثلما فعلوا مع الكتاب المقدّس. يقول: "الكتب الدينيّة حلقة في التراث الإنسانيّ" (كمالا، 2014: ص48). من ذلك المدرسة الألمانيّة: المجمع العلميّ بميونيخ: المستشرق برجستراسر ثمّ أوتو بريتزل... (كمالا، 2014: ص49). تميّز كتاب **تاريخ القرآن** لنولدكيه: بـ "مغالطات شنيعة" وكان أثره كبيرا في الكتابات العربيّة والغربيّة على حدّ سواء. ويرد تعليق الكاتب: "وهذا نمط من التفكير عجيب بيد أنّه يستحقّ الإعجاب. ولكن دون أن يعلّل لا مبرّرات العجب ولا الإعجاب.

وأمّا ترجمة معاني القرآن الكريم حسب زمن ترتيب النزول فيقول فيها: "أوّل ترجمة للقرآن الكريم حسب التنزيل جاءت على يد المستشرق رودويل سنة 1861... برّر طريقته بأنّها تلبّي حاجات الأوروبيّين في قراءة أدب تاريخيّ للقرآن لمتابعة سير الدعوة (كمالا، 2014: ص52). وجوب اعتبار النوايا هنا. إذ لم يكشف كمالا عن إفصاح رودويل عن مبرّر ذلك الاختيار من عدمه.

* **بيان منهجيّ:** يعلن كمالا اعتماده لكتاب بلاشير ولكنّ النظر تعلّق بكلّ من بلاشير ونولدكيه. يقول: "سنعتمد في هذا المبحث على كتاب **تاريخ القرآن الكريم** لبلاشير كونه خلاصة

الدراسات التي تمخّضت عنها الأبحاث المتواصلة للألمان... وقبل أن نستعرض نظريّة نولدكيه وبلاشير..." (كمالا، 2014: ص53). ولكي يتخلّص كلّ من نولدكيه وبلاشير.. ولكنّهما يحسمان الخلاف... فالدعامة الأولى من نظريّتهما تهتزّ ابتداء من هذه النقطة" (كمالا، 2014: ص61).

* **تقييم:** من المهمّ في الجانب المنهجيّ أن يكون كمالا واعيا بالمسألة التقييميّة المضمّنة في الخلاصة المقترحة. ولكنّ هذا لم يخلُ من تناقض في القول. يقول: "وخلاصة الموضوع أنّ الدراسات الاستشراقيّة بدأت بداية جادّة في البحث وراء ترتيب لسور القرآن، يتحقّق بموجبه نوع ترابط فكريّ بين السور... وقبلت النظريّات... دونما معارضة تقريبا من الجهات العلميّة الغربيّة... وشيّدت على الأسس القديمة نظريّات جديدة ... ثمّ تسرّبت أفكارهم إلى المجتمع الإسلاميّ، فتبنّتها دوائر المفكّرين الأحرار وقدّمتها إلى الجمهور في صورة أعمال رديئة لا تخلو من غفلة وتسرّع". تناقض واضح. من هم: المفكّرون الأحرار؟ وكيف يقدّمون أعمالهم في صورة رديئة؟ أكان ذلك منهم بقصد أم بغير قصد؟

هـ- الهوامش: منها ما هو متنوّع ومنها ما هو دقيق ومنها ما هو مفصّل. ولكن لم تخل من من مظاهر الخلل البادي في النقاط الموالية:

* **اختلاف العنونة:** نسجّل العناوين الثلاثة التالية: هوامش الفصل الأوّل ثمّ هوامش الفصل الثاني وتعليقاته ثمّ هوامش الفصل الثالث، إفراد هوامش الفصل الثاني بإدراج عبارة تعليقات رغم أنّها ثلاثتها تضمّنت تعليقات. مثال: تعليق ضخم تتجاوزت مساحته النصّيّة الصفحة. انظر الهامش 38 من الصفحة 30.

* **هوامش الفصل الثاني** تبدأ من رقم 1 إلى 29 بينما الإحالات في العنصر فتبدأ من رقم 41 إلى 69. وهو خلل واضح.

* **استعمال الاختصار:** إثقال الهوامش بالتفصيلات غير المهمّة. والأصل اعتماد: م.س (مصدر/مرجع سابق)، م.ن (المصدر نفسه)، ص.ن (الصفحة نفسها)... مع اختزال الاسم واللقب. وذلك من مقتضيات الكتابة العلميّة التي تشترط إدراج ما يفيد من معرفة في ذلك الموضع. ولكنّ هذا لم يكن مطّردا.

و- قائمة المصادر والمراجع: ممّا يلاحظ فيها من وجهة نظر فنّيّة تقنيّة:

1. غياب التمييز بين المصادر والمراجع. فكلّ بحث علميّ أكاديميّ يقوم على مصدر أو جملة من المصادر تمثّل مدوّنته التي يستنطقها. وأمّا المراجع فللتوسّع تأكيدا لفكرة أو دحضا لها... الخ.

2. لا يوجد معيار تُدرَج وفقه هذه الكتب. كان من المفيد اعتماد طريقة في الترتيب تقوم على اللقب (الأبياريّ) أو الكنية (أبو الحسن) أو الاسم (برنارد). وجميعها استعمل هنا دون تمييز. وكان يجب تأكيد عدم اعتبار ألف التعريف ولامها و"أبو" و"ابن". وهي ثلاثتها تحدث التباسا في ترتيب مصادر البحث ومراجعه إن لم تؤخذ بعين الاعتبار. ففي الهمزة ورد: الأبياريّ– إسماعيل، شعبان– إسماعيل، محمّد– الأشيقر–ابن الأعرابيّ... وأمّا أبو الحسن العامريّ ففي حرف العين، ولويس غارديه في حرف الغين (لويس اسم)، وبرنارد لويس في حرف اللام (لويس لقب).

3. إذا كان كتابان أو أكثر لمؤلّف واحد فيُكتفى بإضافة العنوان دون اسم صاحبه. مثل الشيباني الذي له، في هذا البحث، كتابان وفتّاح ذكرت له ثلاثة كتب.

4. يُكتفى باللقب والاسم دون تفصيل القول في نسب الكاتب أو توجّهه الفكريّ أو العقديّ مثل ما جاء في السطر الأوّل "ابن الأعرابيّ، أبو سعيد أحمد بن محمّد بن زياد بن بشر بن درهم الصوفيّ".

5. اعتماد نفس الطريقة في التعبير: س2: تحقيق/ س6 تح[1].

6. وجوب التزام ترتيب واحد: لقب، اسم.... هامش31: عرفان عبد الحميد، فتّاح/هامش32: فتّاح، عرفان عبد الحميد، هامش34: محمّد عبد الله درّاز، **الدين: بحوث ممهّدة**.

7. تمييز بين ما جاء باللسان العربيّ وبغير اللسان العربيّ، لكلّ عنوانه.

8. كتابة المصادر غير العربيّة من الشمال إلى اليمين.

9. ما يزيد عن ثلاثين مرجعا تمّت العودة إليها وذكرت في الهوامش دون أن تدرج في قائمة المصادر والمراجع. وهذا مسردها بحسب الفصول:

* هوامش الفصل الأوّل: (13) جولدزيهر، إجناز، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، (15) هنري كوربان، **حياة السهروردي**، ضمن **شخصيّات قلقة في الإسلام** (دون أن يتقدّم ذكر لهذا الكتاب. وهو لعبد الرحمان بدويّ)، (22) الزعبي، فتحي محمّد، **تأثّر اليهوديّة بالأديان الوثنيّة**، (34) محمّد عبد الله درّاز، **الدين: بحوث ممهّدة**،

* هوامش الفصل الثاني: (3) بدوي عبد الرحمان، **موسوعة المستشرقين**، (8) Montgomery Watt and Richard bell، ***Introduction To The Qur'an***.. (15) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: دون ذكر مؤلّفه (محمّد عبد الباقي)، (16) **مفردات ألفاظ القرآن الكريم** للراغب الأصفهانيّ، **لسان العرب** لابن منظور، (18–19) **صحيح مسلم**، (21)

[1] الأمر نفسه في أسماء الأعلام: غولدزيهر/جولدزيهر: انظر: كمالا، **القرآن والمناهج الوضعيّة**، ص34.

تفسير الفخر الرازي، (22) **الكشّاف** للزمخشريّ، (27)..، Goldziher, Ignaz, ***Muslim Studies***

* هوامش الفصل الثالث: (13) عبد الحميد علي عبد المنعم، **دراسات في تفسير القرآن الكريم**، (20) أحمد بهاء الدين حسين، **حقيقة الاستشراق**، (22) بدوي، عبد الرحمان، **دفاع عن القرآن**

(34) بلاشير، ريجس، **تاريخ الأدب العربيّ**، (35) الشرقاوي، عفّت محمّد، **الفكر الدينيّ**، (36) بلاشير، ريجس، **تاريخ القرآن**، (38) الزركشي، **البرهان**، (39) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (40) ريتشارد بل ومنتقمري وات، **مدخل إلى القرآن**، (42) اسبينداري، **كتابة القرآن الكريم**، (47) دوزي، **تاريخ مسلمي إسبانيا**، (62) يلديريم، سعاد، **اسم الرحمان في القرآن الكريم**، (65) الأنباري، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، (66) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (67) الطبري، **جامع البيان**، (69) علي جواد، **المفصّل في تاريخ العرب**، (78) البزّار، **مسند البزّار**.

10. وجوب كتابة الأسماء الأجنبيّة بالحروف اللاتينيّة وذكر العناوين الأصليّة للكتب في لغتها الأمّ. وهذا ينسحب على العمل كاملا.

الخاتمة:

تمكّن المستعرب الماليزيّ عبد الرحمان عُبيد كمالا، من تقديم منجز فكريّ إشكاليّ يحوي، رغم الهنات الفنّيّة اللغويّة والمنهجيّة، مداخل فكريّة نظريّة وعمليّة لطرح إشكاليّات عصريّة والمساهمة في تلمّس حلول ممكنة لها. أهمّ الأفكار المضمّنة في الكتاب والتي تعتبر مفاتيح لأبحاث أكاديميّة راهنة:

1. تحكّم السياسة في توجيه المتصوّر الدينيّ ودراسته، سواء في ذلك الشرق والغرب، ولذلك تداعياته الخطيرة في محاصرة الإنسان عقليّا وروحيّا ومادّيّا وغلق منافذ التواصل.
2. موقف فلاسفة أوروبا من الكنيسة لا يجب أن ينسحب على الإسلام: "لا شكّ أنّ تعميم هذه الأحكام على الدين الإسلاميّ بسبب الدمويّة الديمقراطيّة الغربيّة مع الكنيسة خطأ كبير. إذ لم يحدث في التاريخ الإسلاميّ أيّ صراع بين رجال الدين والعلماء" (كمالا، 2014: ص12). لا رجال دين في الإسلام بل هم علماء الدين وكانوا يجمعون بين علوم النصّ وعلوم الطبيعة.
3. وجوب الحذر من إسقاط النظريّات الغربيّة على غير منتجيها: "إنّ كثيرا من الباحثين المسلمين لم يسلموا من تأثيرات النظرة المسبقة... في عرض الأديان العالميّة... شدّد مجموعة من المفكّرين والعلماء على ضرورة تبنّي منهج علميّ..." (كمالا، 2014: ص13).

4. المماثلة بين جولدزيهر ومحمّد عابد الجابري وعبد الرحمان بدوي وعبد المجيد الشرفي: "... قوّة التيّار الغربيّ الذي جرفهم بعيدا... ولجأوا... إلى حيلة الترقيع التي ألّبت عليهم الأعداء وألقت ظلّا كالحا على دروبهم العلمانيّة الطويلة... وتخرّجت في أكاديميّتهم عقول تجمع بين النقائض بطريقة مأسويّة" (كمالا، 2014: ص41). وهو موقف تأليفيّ يقدّم مفتاحا لبحث أكاديميّ راهن ينتظر الإنجاز من الباحثين الأكاديميّين في الجامعات ومراكز البحث العلميّ، شرقا وغربا، استشراقا واستغرابا واستعرابا، تقابسا وتفاعلا وتجسيرا.

الدروس المستفادة من الكتاب:

تتمثّل أهمّ الدروس المستفادة من هذا الكتاب في إثارة عدد من الإشكاليّات، منها المنهجيّ؛ إذ اتّصل بضوابط البحث العلميّ التي تستدعي مراعاة جملة من المعايير الكفيلة بالحيلولة دون الوقوع في المغالطات، وقد كان هذا الكتاب عيّنةً جيّدةً لتحقيق هذا الهدف.

ومنها الغرضيّ؛ إذ تعلّق بتمثّل الغرب—ممثَّلًا في بعض رموزه الاستشراقيّة—للشرق، ممثَّلًا في أحد أهمّ متعلّقاته، وهو الإسلام ونصّه المؤسِّس: القرآن الكريم. وقد قُدِّم هذا التمثّل من زاوية نظر أخرى، من خارج المنظومتين العربيّة والغربيّة، فنتج ما يمكن أن نطلق عليه «تمثّل التمثّل»، إذ على قدر تعدّد زوايا النظر تنجلي الحقائق شيئًا فشيئًا.

ومنها الحضاريّ؛ وقد تجلّى في اختراق النصّ القرآنيّ، باعتباره مادّةً علميّة، عوالمَ البحث الغربيّ الأوروبيّ والشرقيّ الآسيويّ، بما من شأنه تفعيلُ جدلٍ دينيّ يتجاوز القرآن والإسلام، ليبحث قضايا تتعلّق بالمسألة الدينيّة في العالم، في ما يُعرف بحوار الأديان، الذي يُعَدّ مدخلًا مهمًّا لتفعيل مشروع السلام العالميّ.

قائمة المصادر والمراجع:

- كمالا، عبد الرحمان عُبيد. (2014). القرآن والمناهج الوضعيّة: مراجعات في الفكر الاستشراقيّ. Xlibris LLC.
- الكيّالي، عبد الوهاب، وآخرون (محررون). (1994). الموسوعة السياسيّة (الطبعة الأولى). المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.
- سميث، هوستن. (2005). أديان العالم: دراسة روحيّة تحليليّة معمّقة لأديان العالم الكبرى توضّح فلسفة تعاليمها وجواهر حكمتها (تعريب: سعد رستم، الطبعة الأولى). دار الجسور الثقافيّة.
- Blachère, Régis (1947), *Le Coran, traduction selon un essai de reclassement des sourates. (Islam d'hier et d'aujourd'hui, III)*. Paris, G. P. Maisonneuve.